مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٧)

الفروق المعجمية للقراءات القرآنية

إعداد

الباحث/ خالد مصطفى محمد أبو شبانة

باحث ماجيستير بكلية الآداب - جامعة دمنهور

أكتوبر ٢٠١٤م

السنة ٢٥ العدد (٩٩)

http://Art.menofia.edu.eg *** E mail: rifa2012@ Gmail.com

Scanned with CamScanner

الفروق المعجمية للقراءات القرآنية

الباحث / خالد مصطفى محمد أبو شبانة
باحث ماجيستير بكلية الآداب – جامعة دمنهور

الملخص
هناك قاعدة تقول: إن كل اختلاف في القراءات يؤدي إلى تغير في الدلالة المعنى إنما هو من باب التنوع والتوسع في المعنى، وليس من باب التعارض والتضاد، وقد يكون لهذا الاختلاف أثره على المعنى، وقد لا يؤثر فيه لكن يعبر عنه بطريقة جديدة، أو أسلوب مختلف، وها نحن الآن بصدد الحديث عن الفروق المعجمية بين القراءات ، وأثر ذلك في دلالة كل قراءة والمعنى المستقى منها، ولا ريب في وجود أثر للفروق الصوتية والصرفية والنحوية في الدلالة والمعنى ولكننا في هذا البحث سوف نلقي الضوء على أثر الفروق المعجمية في الدلالة، وهل بالضرورة يترتب على كل اختلاف معجمي بين القراءات أثر في المعنى، أو قد يكون الاختلاف من باب التنوع أو التيسير والتخفيف مع اتحاد المعنى؟ فهذا ما سوف نحاول توضيحه من خلال هذا البحث.

ما المقصود بالفروق المعجمية:

إن من صور الاختلاف بين القراءات الاختلاف في أحرف الكلمة الواحدة، وهذا النوع من الاختلاف نوعان، الأول: الاختلاف الذي لا يخرج الكلمة عن أصلها أو الجذر الذي منه اشتقت الكلمة، مثل: "كفواً" و"كفؤاً" و"تعملون" و"يعملون"، وهذا النوع يعد من قبيل الفروق الصرفية، وليس ذلك داخلاً في مجال هذا البحث، وأما النوع الثاني: فهو ما خرج عن الأصل أو الجذر، مثل: "ننشرها" و"ننشزها" و"ظنين" و"ضنين"، فهنا وجدنا الكلمة خرجت إلى مادة مغايرة لما عليها الكلمة الأولى، مختلف عن نظيرتها في القراءة الأخرى، وهذا القسم هو موضوع بحثنا؛ فسوف نتوقف أمام بعض النماذج من هذا النوع من الاختلاف بين القراء، ونقوم بتحليلها وبيان أثر هذا الاختلاف في الدلالة.

Scanned with CamScanner

ننشزها وننشرها:

قد ورد هذا اللفظ في قول الله عز وجل:{وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً}[١]فقرأه بالراء أبو عمرو ونافع وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب، وقرأ سائر القراء بالزاي[٢].

فالقراءة بالراء من أنشر الله الموتى بمعنى أحياهم، والقراءة بالزاي فَمِنْ "النَّشْز" وهو الارتفاعُ، ومنه: "نَشْزُ الأرضِ" وهو المرتفعُ، ونشوزُ المرأةِ وهو ارتفاعُها عن موافقة زوجها، فالمعنى: يُحَرِّك العظامَ ويرفعُ بعضَها إلى بعضٍ للإحياء[٣]وذهب ابن عطية إلى أن النشوز ليس مطلق الرفع وإنما هو الرفع المتدرج، فقال:" ويتعلق عندي أن يكون معنى النشوز رفع العظام بعضها إلى بعض، وإنما النشوز الارتفاع قليلا قليلا، فكأنه وقف على نبات العظام الرفات وخروج ما يوجد منها عند الاختراع، وقال النقاش: ننشزها معناه ننبتها، وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت، من ذلك نشز ناب البعير، والنشز من الأرض على التشبيه بذلك، ونشزت المرأة كأنها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها، وقوله تعالى: {وَإِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا}[٤]، أي فارتفعوا شيئا شيئا كنشوز الناب. فبذلك تكون التوسعة، فكأن النشوز ضرب من الارتفاع"[٥]وعلى أن النشوز بمعنى الارتفاع يكون ذلك الرفع للعظام التي لم تبلى، فيرفعها الله تعالى من أماكنها على الأرض ويعها في أماكنها من الجسد، أما النشر فيكون إحياءاً للعظام البالية، وسواء كانت العظام بالية أم لا فالأمر عند الله تعلى بكلمة كن، ويؤيد قراءة الراء قوله تعالى:{ثم إذا شاء أنشره}[٦]، قال أبو جعفر:""الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَى الْإِنْشَارِ وَمَعْنَى الْإِنْشَازِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِنْشَازِ التَّرْكِيبُ وَالْإِثْبَاتُ وَرَدُّ الْعِظَامِ مِنَ الْعِظَامِ وَإِعَادَتُهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَدُّهَا إِلَى أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا مِنَ الْجَسَدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا إِيَّاهَا، فَهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ فَمُتَقَارِبَا الْمَعْنَى،

---

[١] سورة البقرة، ٢٥٩.
[٢] انظر البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٦٥، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري، ج١، ص١٩٩.
[٣] انظر الدر المصون، السمين الحلبي، ج٣، ص١٠٣ ـ ١٠٤، وأثر القراءات في علوم العربية، د/ محمد سالم محصين، ج١، ص٤٩٧.
[٤] سورة المجادلة، ١١
[٥] المحرر الوجزيز، ابن عطية، ج١، ص٣٥١.
[٦] سورة عبس، ٢٢.

رقد جاءت بالقراءة بهما الأمّة مجيئًا يقطعُ العُذرَ ويوجبُ الحُجّة، فبأيّهما قرأ القارئُ فمصيبٌ لاتفاقِ معنييهما، ولا حُجّةَ تُوجبُ لإحداهُما من القضاء بالصواب على الأخرى"[7] وقال في البحر المحيط:" العظام لا تحيى على الانفراد حتى ينضم بعضها إلى بعض ، فالزاي أولى بهذا المعنى ، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء ، والموصوف بالإحياء الرجل دون العظام.

ولا يقال : هذا عظم حي،

والمعنى : وانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء"[8] ويؤيد هذا الرأي الدكتور أحمد الخراط فيقول: "القراءة القرآنية، قد تراعي من خلال لفظها المنتقى، ما سيق قبل هذا اللفظ من معطيات ومقدمات، تدل على آيات الله في خلقه، وإبداعه، فيكون هذا اللفظ المعين مبنياً على سبب سابق. فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: {وانظُرْ إلى العظام كيف نُنشِرُها}[9] والنشر هنا الإحياء، لأنه قال قبل ذلك: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}[10] فالمادة المعروضة المتقدمة، عبارةٌ عن عظام قدَّر الله لها الموت ثم الحياة، والقائل يريد أن يطمئنَّ على مسألةِ إحياء الموتى، فقيل له: انظر كيف نُنشِرُ العظام، أي نُحْييها. تقول العرب: أنشر الله الموتى، وأما القراءة الثانية "نُنشِزُها" بالزاي، فمعناها كيف نرفع عظام الميت البالية إلى مواضعها، وكيف نركب بعضها على بعض، وهذا أمر يسبق الإحياء الذي هو موضع السؤال، فكأن كل قراءة تكشف جانباً من الجوانب، ثم تتكامل الجوانب كلها في النهاية، وهكذا نرى أن القراءات لا تتفاضل، وإنما تتكامل،"[11] ولكن يرد على هذا الرأي كون أن الضمير في "ننشرها" عائد على العظام وليس على الحمار، فالأحياء يتعلق بالعظام، ويرى الدكتور مجدي حسين أن قراءة "ننشرها" أولى من قراءة "ننشزها" لأن النشر هو الإحياء أما النشوز فهو الرفع وذهب د/ مجدي إيضًا إلى أن قراءة ننشرها مقدمة على قراءة "ننشزها"" إذ أنها متضمنة لها فالنشر يتضمن الانشز

[7] جامع البيان، الطبري، ج٤، ص٦١٨.
[8] البحر المحيط، أبو حيان، ج٢، ص٣٠٥.
[9] سورة البقرة، ٢٥٩.
[10] سورة البقرة، ٢٥٩.
[11] ملامح الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، د/ أحمد الخراط، بحث منشور على موقع شبكة الألوكة.

Scanned with CamScanner

ولا عكس"[١٢] فمن الجلي أن المعنيين متقاربين، فعلى الرغم من أن الخلاف هنا قد أخرج الكلمة عن الجذر االمعجمي إلا أنها لم تبعد كثيرًا في المعنى ، وقد وجدنا أن لفظ النشر هو الأكثر استعمالا في الكتاب العزيز في الدلالة على الإحياء، من ذلك قوله تعالى:{ثم إذا شاء أنشره}[١٣] والذي يميل إليه الباحث أن لكل قراءة وجهة، فالمقام هنا مقام إظهار لآية من آيات الله تعالى، وإبراز لأمر خفي لم يعتاد الناس رؤيته، فإن الله عز وجل يريد أن يُرِيَ هذا النبي كيفية إحياء الله تعالى للموتى، وكل قراءة تبرز لنا جانبًا من هذا الإحياء، فإن العظام قد بليت وأصبحت كالرميم، ليس فيها مادة للحياة، ولا يمكن أن يركب بعضها على بعض، فأنشرها الله تعالى وأعاد إليها طبيعتها وبث فيها الحياة مرة أخرى، فصارت قابلة لأن يركب بعضها على بعض، وهذا المعنى، أو إن شئت قلت هذه المرحلة من الإحياء تبرزها قراءة "ننشرها" إذا إنها تعني الإحياء، ثم يتلو ذلك تجميع العظام وتركيبها في مواضعها حتى يكتمل الجسد،، فالعظم يرفع ويركب على العظم حتى يكتمل جسد الحمار، عظامًا وهذه المرحلة تبرزها قراءة "ننشزها"، فهي تعني رفع العظام وتركيب بعضها إلى بعض، قال ابن عاشور:" قرأ جمهور العشرة ننشرها بالرّاء مضارع أنشر الرباعي بمعنى الإحياء. و قرأه ابن عامر و حمزة و عاصم و الكسائي و خلف: نُنْشِزُها- بالزاي- مضارع أنشزه إذا رفعه، و النشز الارتفاع، و المراد ارتفاعها حين تغلظ بإحاطة العصب و اللحم و الدم بها فحصل من القراءتين معنيان لكَلِمة واحدة، و في كتاب (حزقيال) «فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، و نظرت و إذا بالعصب و اللحم كساها وبسط الجلد عليها»"[١٤].

---

[١٢] انظر رواية حفص د/ مجدي حسين،
[١٣] سورة عبس، ٢٢.
[١٤] التحرير والتنوير،ابن عاشور، ج١، ص٣٧١.

Scanned with CamScanner

يقص ويقض:

من الكلمات التي وقع فيها الخلاف بين القراء كلمة "يقص" من الآية الكريمة:{إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين}[15]، فقد قرأها عاصم و نافع وابن كثير وأبو جعفر، "يقص" بضم القاف وبعدها صاد مهملة مشددة مرفوعة، وقرأ أبو عمرو و ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف[16] "يقضي" بقاف ساكنة ثم ضاد معجمة مكسورة مخففة، ،وهي مكتوبة بغير ياء لأنها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين كما كتبوا {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}[17] { فما تغن النذر}[18]، فالياء ساقطة في اللفظ فأسقطناها في الخط، وإجرينا الوقف مجرى الوصل، والمحل هنا ليس محل وقف[19]، فأما قراءة "يقص" فهي من القص، أي قص الحديث، فهو سبحانه وتعالى يَقُصُّ عَلَى رَسُولِهِ الْقَصَصَ الْحَقَّ فِي جَمِيعِ أَخْبَارِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ[20]، أو القص بمعنى إتباع الأثر، أي: يَتَتَبَّعُ الْحَقَّ وَيُصِيبُهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الَّتِي يَتَصَرَّفُ بِهَا فِي عِبَادِهِ[21] ،"والمعنى إن جميع ما أنبأ به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق"[22] وقد ورد لفظ يقص في أكثر من موضع في القرآن، وقد احتج ابن عباس لهذه القراءة بكثرة ورد هذا اللفظ كما في قوله تعالى:{ نحن نقص عليك}[23] وقوله:{إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل}[24] وقوله:{ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي}[25] ويؤيد هذه القراءة أيضًا أن الفعل "يقضي" لا يتعدى بنفسه ولكن يتعدى بالباء، كما تقول: قضى الحاكم بالعدل، أو بحرف الجر "على"كما تقول: قضى الحاكم على المجرم بالسجن، " قال مجاهد لو كان يقضي لكانت يقضي بالحق والعرب تقول

---

[15] سورة الأنعام، ٥٧.

[16] انظر شرح طيبة النشر، ابن الجزري، ص٢٢٤، والبدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص١١٧

[17] سورة العلق، ١٨.

[18] سورة القمر، ٥.

[19] انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٧، ص٢٦٨، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٤٣٩.

[20] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٧، ص٣٧٩.

[21] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٧، ص٣٧٩.

[22] حجة القراءات، أبو ذرعة،ص٢٥٤.

[23] سورة يوسف، ٣.

[24] سورة النمل، ٧٦.

[25] سورة الأنعام، ١٣٠.

قضيت بالحق، قال الله جل وعز :{ والله يقضي بالحق}[26] بإثبات الياء والباء مع القضاء"[27] وذهب مكي إلى ترجيح قراءة "يقص" بالصاد فقال:" وقراءة الصاد أحب إلي ؛ لاتفاق الحرميين وعاصم على ذلك ، ولأنه لو كان من القضاء للزمت الباء فيه كما أتت في قراءة ابن مسعود"[28] وأما قراءة "يقضِ" فهي بمعنى الحكم والفصل، وقد احتج أصحابها بأن الآية قد خُتِمت بقوله تعالى:{وهو خير الفاصلين} "والفصل يكون في القضاء لا في القصص، وكان أبو عمرو يعتبر بهذه

وقال إنما الفصل في القضاء لا في القصص وكان الكسائي يعتبرها بقراءة ابن مسعود قال وفي قراءته يقضي بالحق"[29] وقد أجاب أبو حيان عن ذلك بقوله:" فقد جاء الفصل في القول قال تعالى : { إنه لقول فصل }[30] وقال : { أحكمت آياته ثم فصلت }[31] وقال : { نفصل الآيات }[32] فلا يلزم من ذكر الفاصلين أن يكون معيناً ليقضي" أما الإمام الطبري فقد رجح قراءة "يقض" بالضاد، فقال:" وأن " الفصل " بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب"[33]، " ويقوي ذلك قوله قبله : {إن الحكم إلا لله} ، ويقوي ذلك أيضا قراءة ابن مسعود (إن الحكم إلا لله يقضي بالحق) فدخول الباء يؤكد معنى القضاء"[34] وحتى إن لم ترد الباء في إحدى القراءات فهي ليست ضرورية لأن "يقضي" يجيئ بمعنى يأتي ويصنع، قال الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضاهما : داود أو صنع السوابغ تبع

---

[26] سورة غافر، ٢٠.
[27] حجة القراءات، أبو زرعة، ص ٣٥٤.
[28] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٣٤٥.
[29] المصدر نفسه.
[30] سورة الطارق، ١٣.
[31] سورة هود، ١.
[32] سورة الأنعام، ٥٥.
[33] جامع البيان، الطبري، ج١١، ص٣٩٩.
[34] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٣٤٤.

أي صنعهما داود[٣٥]، فيكون معنى الآية يأتي الحق أو يصنع الحق، كما يجوز تقدير محذوف فيكون المعنى: يقضي القضاء الحق[٣٦]، ولا مانع أن يكون الفعل "يقضي" هنا مضمن معنى ينفذ كما ذهب إليه بعضهم[٣٧]، أي أنه سبحانه وتعالى ينفذ حكمه، ولا شك أن لفظ "يقض" أكثر اتساقًاوانسجامًا مع أول الآية وآخرها، "حيث إنها بدأت بقضاء الحقوق المشروعة من قبل الله عزوجل، وانتهت بالثناء على خير قاضٍ في ميدان القضاء، فليس الحكم الحق المَقْضِيّ إلا لله، وهو خير مَنْ يفصل في الحقوق. فيكون بين أيدينا لفظتان متسقتان: ((يقضي))، و((الفاصلين))، وذلك في سياق الحكم الذي بدأت به الآية، وبذلك تكون الألفاظ منتقاة تسير على منوال واحد"[٣٨]، وعلى ذلك يكون الأوجَه في معنى قراءة "يقص" بالصاد يتبع من اتباع الأثر، قال الزمخشري: " وقرىء : (يقص الحق) أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدّره ، من قص أثره"[٣٩]، وقال صاحب التحرير والتنويرفي معنى "يقص":"هو من الاقتصاص وهو اتّباع الأثر، أي يجري قدره على أثر الحقّ، أي على وفقه"[٤٠]، ولو قلنا إن "يقص" هنا بمعنى يخبر أو يحكي يكون المراد التأكيد على أن وعده واقع لا محالة فهو لا يخبر إلاّ بالحق[٤١]، والخلاصة أن القراءتين وإن كانتا مختلفتين في اللفظ إلا أنهما يتقاربان في المعنى، فعلى قراءة "يقض" بالضاد يكون معنى الآية: إني على بينة من ربي، وعلى يقين، وأنتم قد كذبتم به، وليس بيدي ما تستعجلون به من العذاب، فالحكم في ذلك إنما يكون لله الذي ينفذ حكمه وقضاءه بالحق وهو خير الفاصلين، وعلى قراءة "يقص" بالصاد يكون المعنى: إني على بينة ويقين من ربي، وأنتم قد كذبتم به، وليس بيدي ما تستعجلون به من العذاب، فالحكم في ذلك لله

---

[٣٥] الهذلي هو: خُوَيْلد بن خالد بن مُحرّث الهذلي، ابو ذؤيب، والبيت من قصيدة في رثاء أولاده الذين اصابهم الطاعون، انظر شرح أشعار الهذليين، ج١، ص٣٩، ولسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٤١٨، ومعاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٣٥٩_ ٣٦٠.

[٣٦] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٣٤٤_٣٤٥

[٣٧] البحر المحيط، أبو حيان،

[٣٨] ملامح من الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، د/ أحمد محمد الخراط، مقال منشور بشبكة الألوكة، http://www.alukah.net/literature_language/0/26/ تاريخ الإضافة: ٢٠٠٦/١٠/١١ ميلادي - ١٤٢٧/٩/١٩ هجري

[٣٩] الكشاف، الزمخشري، ج٢، ٣٠.

[٤٠] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٧، ص٢٦٨.

[٤١] المصدر نفسه.

وحده، فهو الذي يتبع الحق والحكمة في كل ما يقضي به ، فهو سبحانه خير من يفصل وخير من يحكم.

بادي وبادئ:

وقد ورد لفظ "بادي" في قول الله عز وجل في سورة هود:{وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي}[٤٢]، وقد انفرد أبو عمرو البصري بقراءة هذه الكلمة "بادئ" بالهمزة، وقرأها الجمهور "بادي" بالياء[٤٣]، فقراءة أبو عمرو بالهمزة من الابتداء ، والمعنى قد اتبعك هؤلاء الأراذل في ابتداء الرأي من غير تفكر وتدبر، ولو تفكروا وتدبروا لم يتبعوك[٤٤]، وأما قراءة الجمهور "بادي" بالياء فهي "من بدا يبدو إذا ظهر ويكون التفسير على نوعين في هذه القراءة أحدهما أن يكون اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك أي أنهم أظهروا

الإسلام وابطنوا الكفر ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الراي ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه"[٤٥]، أي اتبعوك فيما ظهر لهم من أراءهم، "وذكر ابن الأنباري وجهًا آخر، فقال: معناه اتبعك سفلتنا أو سقطاؤنا، فيما يظهر من أمرهم لنا ولغيرنا، أي الذي وصفناهم به من الانتقاص لهم والازدراء بهم ظاهر لجميع من يراهم، وليس ذلك أمرًا يغيب ويغمض فيخالفنا فيه غيرنا.

قال: وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان ، و "الرَّأْيِ" على هذا من رأي العين، لا من رأي القلب"[٤٦]، ويرى د/ أحمد الخراط أن هناك فرق بين القراءتين فيقول:"وهناك فرق في الدلالة بين القراءتين، فقراءة بادئ" تدل على أنهم قد تسرعوا في اتخاذ قرار الإيمان بنوح عليه الصلاة والسلام، وأما القراءة بالياء فهي تدل على أنهم قد بدت لهم الأراء وفكروا فيها تفكيرًا سطحيًا غير متعمق، وفي ضوء قراءة أبي عمرو ينقل لنا القرآن الكريم موقف قوم نوح على طريقته في التصوير الفني الدقيق، فهم قوم عمَّهم الغيظ، وشحنَتْهم البغضاء، فكانوا يختلقون الأكاذيب والإشاعات على هذا النبي

---

[٤٢] سورة هود، ٢٧.
[٤٣] انظر النشر، ابن الجزري، ج١، ص٤٠٧، والبدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص١٧٠.
[٤٤] انظر حجة القراءات، ابو ذرعة، ص٣٣٨، والكشاف، الزمخشري، ج٢، ص٣٦٨، ومعاني القراءات، الأزهري، ج٢، ص٤٦.
[٤٥] حجة القراءات، ابو ذرعة، ص٣٣٨.
[٤٦] التفسير البسيط، الواحدي، ج١١، ص٣٩٤.

Scanned with CamScanner

الكريم؛ ليقللوا من شأن دعوته، ويزهّدوا الناس فيها، فمَن أولئك الذين اتبعوه؟ إنهم أولاً أراذل القوم وسفلتهم، وهم ثانياً اختاروا طريقتك يا نوح، من غير أن يتقدموا نحو أغوار الفكر والتأمل أشواطاً بعيدة، فرأيُهم إنْ كان بهذا الضعف فلا عجب يا نوح؛ لأنهم لم يجربوك ولم يَخْبَرُوك، وكثيراً ما يتهم الإنسان بصَرَه الحسي، عندما يفتحه بعد رقاد طويل؛ فإذا ما تأمَّل المشهد ووعى عرف الحقيقة، وكثيراً ما يندم المرء على قرار اتخذه ولكنه يعترف أنه قرار مبني على بادئ الرأي. ولقد علقَتْ أفكارهم بدعوتك من الوهلة الأولى فحسب، من غير سابق تجربة، وأساسِ فهم ورويَّة، ومن المعلوم أن القراراتِ التي يتخذَها الرجل من غير نظرة كلية شاملة قراراتٌ سريعة، وعندي أن ثمة مذاقاً في هذه القراءة يختلف عن مذاق القراءة الثانية؛ لأن قراءة غير أبي عمرو معناها اتبعوك في ظاهر رأيهم. وفرقٌ بين الإنسان عندما يعطي قراءة بعدما شهده من ظاهر الأمور التي يتعامل معها، وبين القرار السريع الخفيف. فالحكم المبني على الظاهر قد يستدعي التأمُّلَ في هذا الأمر الظاهر، كما يستدعي تقليب وجهات النظر والتشاور مع الآخرين، وهذا لا يتوافر في القرار المبني على بادئ الرأي، وسياقُ الآية سياق ذم وحقد وبغضاء وهذا الجانب تكشفه قراءة أبي عمرو التي تستوعب هذه الانفعالات النفسية، وهي تتكامل مع القراءة الأخرى التي تكشف جانباً آخر من انفعالاتهم النفسية[٤٧]،فعلى هذا يتبين لنا أن القراءتين متكاملتان، ولكن الذي يظهر للباحث أن المعنى في القراءتين يكاد يتحد، بل قد يقول قائل:" إن قراءة "بادي" بالياء هي "بادئ" ولكن بإبدال الهمزة ياءًا على سبيل التخفيف، قال أبو علي الفارسي: " هاتان الكلمتان يعني: بادي وبادئ متقاربتان في المعنى؛ لأن الهمز فيها بمعنى: ابتداء الشيء وأوله، واللام إذا كانت واوًا كان المعنى: الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهورًا، وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء، ولذلك كثيرًا ما تستعمل كل واحدة من الكلمتين في موضع الأخرى كقولهم: أما بادي بدء فإني أحمد الله، وأما بادئ باد فإني أحمد الله"[٤٨]، وقال ابن الأنباري: " ويجوز لمن ترك الهمز في بادي أن ينوي اصطحاب الهمز ويحتج بأن الهمز مُلَيَّن ومعناه مطلوب، وبنحو من هذا قال

[٤٧] انظر ملامح الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية/ أحمد محمد الخراط، ، بحث منشور على شبكة الألوكة،

[٤٨] انظر الحجة، ابو علي الفارسي، ج٤، ص٣١٨، والتفسير البسيط، الواحدي، ج١١،ص٢٩٥.

أبو علي ، وقد يجوز في قول من همز أن يخفف ويقول: بادي، فتقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، فيكون كقولهم : (مير) في جمع مئرة، و (ذيب) في جمع ذئبة"[٤٩]، ولكن الذي يلفت الانتباه هنا أن أبا عمرو يهمز فيقرأ "بادئ" خلافًا لعادته في تخفيف الهمز، وهذا يدل على أن القارئ لا يلتزم في قراءته طريقة واحدة، أو لهجة واحدة وإنما يجمع بين أكثر من طريقة وأكثر من لهجة، ولكن قد يغلب على قراءته طريقة معينة كتخفيف الهمز أو تحقيقه، وأو تغلب عليها لغة قريش أو تميم.

لفظ "بُشْرًا":

من الكلمات القرآنية التي اختلفت فيها القراءة بين القراء العشرة كلمة "بُشرًا"، وقد وردت هذه الكلمة في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى: الأول: قوله تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٥٠]، والثاني: قوله سبحانه:{ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}[٥١]، والموضع الثالث: قوله عز وجل:{ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٥٢]، وقد انفرد عاصم بقراءة هذه الكلمة "بشرًا" بالباء المضمومة وبإسكان الشيه، وقرأ أبو عمرو ونافع وابنكثير وأبو جعفر ويعقوب"نُشُرًا" بالنون والشين المضمومتين، ، وقد قرأها بالنون أيضًا حمزة والكسائي وخلف ولكن مع فتح النون وإسكان الشين، وابن عامر وافقهم في إسكان الشين ولكنه ضم النون، فيتحصل لنا في هذه الكلمة أربعة قراءات: الأولى: بالباء المضمومة والشين الساكنة وهي قراءة عاصم، والثانية: بالنون والشين المضمومتين وهي قراءة أبي عمرو ونافع وابن كثير وأبي جعفر ويعقوب، والثالثة: بالنون المضمومة والشين الساكنة وهي قراءة ابن عامر، والرابعة: بالنون المفتوحة والشين الساكنة، وهي قراءة حمزة والكسائي

---

[٤٩] انظر الحجة، ابو علي الفارسي، ج٤،ص٣١٨، والتفسير البسيط، الواحدي، ج١١، ص٣٩٦.
[٥٠] سورة الأعراف، ٥٧.
[٥١] سورة الفرقان، ٤٨.
[٥٢] سورة النمل، ٦٣.

خلف[٥٣]، وأما إذا انتقلنا إلى كل قراءة وما نستوحيه منها من المعاني فإن قراءة "نُشُراً" بالنون المضمومة وضم الشين تحتمل أكثر من وجه، فالأول: أنه فاعِل مِنْ نَشَر مطاوع أنشر يقال: أنشر الله الميت فنشر فهو ناشر وأنشد:

حتى يقولَ الناسُ ممَّا رَأَوا ... يا عجباً للميتِ الناشِرِ

والثاني: أنه جمع نَشور بمعنى ناشر وناشر معناه: محيي، مثل طهور بمعنى طاهر وقد وصفت الرياح بالإحياء لأن الله تعالى جعلها ناشرة للأرض، أي محيية لها، إذ تأتي بالمطر الذي يكون النبات به[٥٤]، والثالث: نشرا" جمع ناشر مثل "شهد" جمع شاهد وذلك لأن الريح ناشرة للأرض،أي محيية لها بما تسوق من المطر"[٥٥]، ومنه قول القائل:

وهبت له ريح الجنوب وأنشرت ... له ريدة يحيي الممات نسيمها[٥٦]

والمعنى على هذه الأوجه واحد، وهو معنى الإحياء، ومنه قوله تعالى: {وإليه النشور}[٥٧]، وأما الوجه الرابع: فهو أن يكون من النشر ضد الطي، فهي على هذا جمع "ناشر" أي: ذو نشر، لأنها تنشر السحاب، أي: تبسطه[٥٨]، وقال القرطبي: " كأن الريح في سكونها كالمطوية ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالمنفتحة. وقد فسره أبو عبيد بمعنى متفرقة"[٥٩]وعلى هذا فالمعنى الثاني المستفاد من قراءة "نشراً" هو كون الرياح تنشر السحاب وتبسطه في السماء، فالمتحصل من الأوجه كلها معنيان: الأول: الإحياء والثاني: بسط السحاب ونشره، فعلى الأول يكون معنى الآية: هو الذي يرسل الرياح التي تحيي الأرض وتنبت الزرع بما تحمله من العيث، بين يدي المطر الذي هو من رحمة الله عز وجل، وعلى الثاني يكون المعنى: هو الذي يرسل

---

[٥٣] انظر شرح طيبة النشر، ابن الجزري، ج١، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، والبدور الزاهرة: عبد الفتاح القاضي، ص١٣٢ ـ ٢٥١.

[٥٤] انظر الدر المصون، السمين الحلبي، ج٥، ص٣٤٧، والهادي شرح طيبة النشر، د/ محمد سالم محيصن، ج٢، ص٢٣٨.

[٥٥] انظر الدر المصون، السمين الحلبي، ج٥، ص٣٤٧، والهادي شرح طيبة النشر، د/ محمد سالم محيصن، ج٢، ص٢٣٨.

[٥٦] والبيت للمرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي أبو حسان، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية انظر الأعلام ج ٧، ص١٩٩، وانظر الحجة، أبو علي الفارسي، ج٤، ص٣٥، والريدة: الريح اللينة، انظر اللسان مادة/ ريد.

[٥٧] سورة الملك، ١٥.

[٥٨] انظر معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٤٠٩، والبحر المحيط، ابو حيان، ج٥، ص٧٦، والدر المصون، السمين الحلبي، ج٥، ص٢٤٧، والحجة، ابن خالويه، ص٢٨٥.

[٥٩] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥، ص٢٢٨.

Scanned with CamScanner

الرياح التي تنشر السحاب وتبسطه في السماء تمهيداً لنزول المطر الذي هو من رحمة الله تعالآ، والذي يظهر للباحث أن معنى النشر والبسط هو الأقوى ويؤيده قول الله عز وجل:{ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[٦٠].

وأما قراءة عاصم "بشراً" بالباء، فهي من التبشير، أو البشارة، وهي جمع والمفرد "بشيرة"، وأصلها بضم الشين لكن هذه القراءة جاءت بالإسكان على التخفيف، ويؤيد ذلك أن ابنَ عباس والسلمي وابن أبي عبلة قرؤوا بضمِّها، وهي مرويَّةٌ عن عاصم نفسه[٦١]، ويحتج لها بقوله تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٦٢]، وبأن الريح تبشر بالغيث الذي هو من أتمّ النعم وأجلّها وأحسنها أثراً، [٦٣]، وقد رجح الطبري القراءة بالنون، لأنها القراءة المشهورةفي الأمصار، على الرغم من كونه يرى أن القراءة بالباء ليست مخالفة للغة، فقد قال عنها: " فلا أحب القراءة بها، وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم في المعنوالإعراب"٦٤، فإن كان الأمر كذلك فلماذا نفضل القراءة بالالنون عليها، بل ال صوابأن نقول بأنالقراءتين مستويتان لا فضل لإحداهما على الأخرى، وأن لكل قراءة معنى خاص بها قد أضافته إلى المعنى الكلي للآية، فيكون المعنى على القراءة بالباء: هو الذي يرسل الرياح قبل نزول الغيث تبشر به، فإن الناس حين تهب عليهم الرياح الطيبة يسرون بها ويتوقعون نزول الغيث الذي به حياتهم.

[٦٠] سورة الروم، ٤٨.

[٦١] انظر معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٤٠٩، وحجة القراءات، أبو ذرعة، ج١، ص٢٨٦، والدر المصون، السمين الحلبي، ج٥، ص٣٤٩.

[٦٢] سورة الروم، ٤٦.

[٦٣] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧، ص٢٢٨، والكشاف، الزمخشري، ج٢، ص١٠٦، والحجة، أبو علي الفارسي، ج٤، ص٣٩.

[٦٤] جامع البيان، الطبري، ج١٢، ص٤٩٢.

Scanned with CamScanner

كبير وكثير:

قد وقع الخلاف بين القراء في لفظ "كبير" في موضعين من القرآن الكريم: الأول: قوله تعالى:{يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس}[٦٥]، فقد قرأ حمزة والكسائي "كثير" بالثاء المثلثة، وقرأ الباقون "كبير" بالباء الموحدة[٦٦]، والثاني: الآية الكريمة { رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}[٦٧]، فقد قرأ عاصم وهشام في رواية عنه هذه الكلمة بالباء الموحدة "كبيراً" ، بينما قرأها الجمهور "كثيراً" بالثاء المثلثة[٦٨]،فأما عن القراءة بالباء فهي من الكبر، أي عظيما فالكبر مثل العظم والكبر وصف للفرد كالعظم[٦٩]، وأما قراءة "كثيراً" بالثاء فهي من الكثرة، أي يلعنون مرة بعد مرة، ولبيان كثرة عدد اللاعنين إياهم، كما يظهر من قول الله تعالى:{أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[٧٠]، ومن قوله _عز وجل_ :{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[٧١]،فهذا يدل على تكرار اللعن مرة بعد مرة وعلى كثرة عدد اللعنين، وقد اختار هذه القراءة الأزهري وأبو ذرعة، وغيرهما لأنها الأقرب إلى معنى اللعن[٧٢]، وأيد ذلك د. مجدي حسين[٧٣]، كما اختارها الطبري ، وعلل اختياره بإجماع الحجة من القراء عليها[٧٤]، وفي الواقع هو ليس إجماعاً، وإنما هي قراءة الجمهور، وقد علل الزمخشري لكل قراءة من غير أن يرجح، فقال:{ وقرىء : (كثيراً) تكثيراً لإعداد اللعائن . وكبيراً ، ليدلَ على أشدّ اللعن وأعظمه}[٧٥]، وحتى يتبين الأمر علينا أن نتساءل: هل يمكن وصف اللعن بالكِبَر؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من الرجوع إلى معنى اللعن في اللغة، فاللعن كما جاء في لسان العرب: " الإبعاد والطرد من الخير ، وقيل : الطرد والإبعاد من الله

---

[٦٥] سورة البقرة، ٢١٩.

[٦٦] انظر البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٦٠.

[٦٧] سورة الأحزاب، ٦٨.

[٦٨] انظر البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٢٨١، والهادي شرح طيبة النشر، محمد سالم محيصن، ج٣، ص١٤٩.

[٦٩] حجة القراءات، ابو ذرعة، ص٥٨٠.

[٧٠] سورة البقرة، ١٥٩.

[٧١] سورة البقرة، ١٦١.

[٧٢] انظر معاني القراءات، الأزهري، ج٢، ص٢٨٦، وحجة القراءات، أبو ذرعة، ص٥٨٠.

[٧٣] أنظر رواية حفص، د. مجدي حسين، ص٨٥.

[٧٤] جامع البيان، الطبري، ج٢٠، ص٣٣١.

[٧٥] الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٥٧٢.

Scanned with CamScanner

، ومن الخلق السب والدعاء "[٧٦]، وعلى هذا المعنى يعد اللعن من المعاني المجردة، التي لا توصف بالكِبَر، فالشخص إما أن يكون مطروداً أو غير مطرود، ولكن من الممكن أن نقول إن الطرد والإبعاد ليس منزلة واحدة ، بل هو على درجات فمن الخلق من يبعدهم الله لذنب اقترفوه ثم يتوب عليهم، فقد نصت بعض الآيات في القرآن على لعن من ارتكب ذنباً معيناً، ثم ذكرت عفو الله عن من تاب من ذلك الذنب، كما في قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[٧٧]،فهؤلاء ملعونون مطرودون من رحمة الله، لكن من تاب منهم فسوف يغفر الله تعالى له فإنه _عز وجل_ قال:{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[٧٨]، وهناك آخرون يبعدهم الله ولا يتوب عليهم أبداً، مثل إبليس فهذه درجة أشد من اللعن، وقد ذكر ابن منظرو معنى آخر للعن فقال:" واللعنة في القرآن : العذاب . ولعنه الله يلعنه لعنا : عذبه"[٧٩]وعلى هذا المعنى يمكن وصف اللعن بأنه عظيم أو شديد أو كبير، لأن العذاب يوصف بذلك، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}[٨٠]، وقال:{ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٨١]وإذا عدنا إلى الآية الكريمة لنرى أي المعنيين أليق بها وأكثر ملائمة مع سياقها، لوجدنا أن معنى الطرد والإبعاد هو الأنسب، وذلك لأننا لو قلنا إن اللعن في الآية بمعنى العذاب لكان هناك تكرار، إن المعنى سيكون: ربنا ضاعف لهم العذاب وعذبهم عذابا عظيما، فيتعين أن يكون معنى اللعن في الآية: الطرد والإبعاد، وعلى قراءة "كثيراً" يكون المعنى ربنا ضاعف لهم العذاب واطرد من رحمتك طرداً متتابعاً دائماً، وأما على قراءة "كبيراً" يكون المعنى: ربنا ضاعف لهم العذاب واطردهم من رحمتك طردا شديداً وأبعدهم عن عفوك حتى لا يكون لهم نصيب منه بداً، وأما بالنسبة لقوله تعالى:{قل فيهما أثم كبير}[٨٢]فالإثم قد يكون كبيراً باعتبار عظمه وشناعته وحجم الجريمة فيه، وقد يكون كثيراً بتكراره.

[٧٦] لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢٠٩.
[٧٧] سورة البقرة، ١٥٩.
[٧٨] سورة البقرة، ١٦٠.
[٧٩] لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢١٠.
[٨٠] سورة آل عمران، ٤.
[٨١] سورة البقرة، ٧.
[٨٢] سورة البقرة، ٢١٩.

Scanned with CamScanner

ضنين وظنين:

من الألفاظ التي قرئت بأكثر من قراءة لفظ "ضنين" من قول الله _عز وجل_ :{وما هو على الغيب بضنين}[83]فقد قرأ أبو عمرو البصري و ابن كثير والكسائي ورويس، هذه الكلمة بالظاء "بظنين" وقرأها باقي القراء بالضاد "بضنين"[84]، وسوف يتناول البحث القراءتين من عدة جوانب: جانب المعنى اللغوي، والموافقة لرسم المصحف، ودلالت كل قراءة وأثرها في معنى الآيات التي جاءت في سياقها، فأما عن المعنى اللغوي لقراءة "ضنين" فإنه من ضن بمعنى بخل، قال في اللسان: " الضِّنَّةُ والضَّنُّ والمَضَنَّة والمَضِنَّة، كُلُّ ذَلِكَ. مِنَ الإمساك والبُخْل، وَرَجُلٌ ضَنينٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ

؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: قرأَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَاصِمٌ وأَهل الْحِجَازِ بضَنينٍ، وَهُوَ حَسَن، يَقُولُ: يأْتيه غَيْبٌ وَهُوَ مَنفوس فِيهِ فَلَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَيْكُمْ وَلَا يَضِنُّ بِهِ عَنْكُمْ "[85]، وأما معنى قراءة "ظنين" فهي من الظنة، أي التهمة، قال في اللسان: "وظَنَنْتُه ظَنّاً وأَظْنَنْتُه واظْطَنَنْتُه: اتَّهَمْتُه. والظِّنَّة: التُّهَمَة"[86]، والمراد: أنه _صلى الله عليه وسلم_ ليس متهماً فيما يخبر به من الوحي، فهو الثقة الأمين فيما أداه عن الله تعالى[87]، ومن معاني "ظنين" أيضاً: ضعيف، قال صاحب اللسان:" وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَيُقَالُ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بظَنِين أَي بِضَعِيفٍ، يَقُولُ: هُوَ مُحْتَمِلٌ لَهُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلرَّجُلِ الضَّعِيفِ أَو الْقَلِيلِ الْحِيلَةِ: هُوَ ظَنُون؛ قَالَ: وَسَمِعْتُ بعضَ قُضَاعة يَقُولُ: رُبَّمَا دَلَّكَ عَلَى الرَّأْي الظَّنُونُ؛ يُرِيدُ الضَّعِيفَ مِنَ الرِّجَالِ، فإِن يَكُنْ مَعْنَى ظَنِين ضَعِيفًا فَهُوَ كَمَا قِيلَ مَاءٌ شَرُوبٌ وشَرِيبٌ وقَرُوني وقَرِيني وقَرُونَتي وقَرِينَتي، وَهِيَ النَّفْسُ والعَزِيمة، "[88] ، وأما عن الموافقة لرسم المصاحف فقد رسمت "ضنين" في جميع نسخ المصحف العثماني بالضاط، قالَ

---

[83] سورة التكوير، ٢٤.
[84] انظر البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٣٦١، والهادي شرح طيبة النشر، د. محمد سالم محيصن، ج٣، ص٣٣٧.
[85] لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢٦١، وأمظر معاني القراءات، الأزهري، ج٣، ص١٢٤، وحجة القراءات، أبو ذرعة، ص٧٥٢، والحجة، ابن خالويه، ص٣٦٤.
[86] لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢٧٣.
[87] انظر معاني القراءات، الأزهري، ج٣، ص١٢٤، والحجة، ابن خالويه، ص٣٦٤، والهادي شرح طيبة النشر، د. محمد سالم محيصن، ج٣، ص٣٣٧.
[88] لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢٧٣.

الطَّبَرِيُّ: "هُوَ مَا عَلَيْهِ مَصَاحِفُ الْمُسْلِمِينَ مُتَّفِقَةٌ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمْ بِهِ"[٨٩]، ولم يذكر الشَّاطِبِيُّ فِي مَنْظُومَتِهِ فِي الرَّسْمِ عَلَى رَسْمِهِ بِالضَّادِ غيره إِذْ قَالَ:

وَالضَّادُ فِي بِضَنِينٍ تجمع البشر ٩٠ " وهو في مصحف عبد الله بالظاء ، وفي مصحف أبيّ بالضاد"[٩١]، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل اتفاق نسخ المصاحف العثمانية على "ضنين" بالضاد يقدح في صحة قراءة "ظنين" بالظاء؟ والجواب على هذا من وجوه الأول: أن قراءة "ظنين" قد ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فلا يقدح في قراءتها كونُها مخالفة لجميع نسخ مصاحف الأمصار لأن تواتر القراءة أقوى من تواتر الخط إن اعتبر للخط تواتر[٩٢]، وقد يقال ألم يشترط ابن الجزري لثبوت القراءة أن تكون موافقة للرسم العثماني ولو على سبيل الاحتمال، فقد قال في طيبة النشر:

فكل ما وافق وجه نحو و كان للرسم احتمالاً يحوي

أو صح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

فكل قراءة وافقة العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح إسنادها، فهذه القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين[٩٣]،ويرى ابن عاشور أن شرط موافقة رسم المصحف العثماني إنما هو للقراءات التي لم يثبت تواترها، أما إذا ثبت التواتر فإنه يكفي، فقد قال:" وما ذُكر من شرط موافقة القراءة لِما في مصحف عثمان لتكون قراءة صحيحة تجوز القراءة بها ، إنما هو بالنسبة للقراءات

---

٨٩ انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٠.

٩٠ البيت من منظومة عقيلة أتراب القصائد في علم رسم المصاحف للإمام الشاطبي.

٩١ انظر الكشاف، الزمخشري، ج٤، ص٧١٣، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠،ص١٦٠.

٩٢ انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦١.

٩٣ انظر الهادي شرح طيبة النشر، د. محمد سالم محيصن، ج١، ص١٩.

Scanned with CamScanner

التي لم ترِد متواترة[94]، كما أننا إذا نظرنا إلى الفرق بين الضاد والظاء في الرسم وجدنا أنه مجرد زيادة في رأس الطاء، قال أبو عبيدة: "ليس هذا بخلاف الكتاب لأن الضاد والظاء لا يختلف خطهما في المصاحف إلا بزيادة رأس إحداهما على رأس الأخرى فهذا قد يتشابه ويتدانى"[95]، وهذه الزيادة قد تكون واضحة وقد لا تكون واضحة، فالرسم يحتملها، وذلك موافق لكلام ابن الجزري حيث أنه لم يشترط تمام الموافقة للرسم، وإنما اشترط أن يكون الرسم محتملاً للقراءة، فعلى هذا فقراءة "ظنين" بالظاء قراءة صحيحة مقبولة.

وأما عن دلالات كل قراءة وأثرها في المعنى فقراءة "ضنين" كما تقدم بمعنى بخيل، ولكن ما علاقة البخل بالغيب؟ إن المشركين كانوا يتهمون النبي _صلى الله عليه وسلم_ بأنه كاهن، وقد رد القرآن عليهم زعمهم هذا في أكثر من موضع، فقال _عز وجل_ :{وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون}[96]، وقال تعالى أيضاً:{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون}[97]، والكاهن هو الذي يخبر بالغيب وهو لا يفعل ذلك إلا بعوض مادي يدفع له، وكان يسمى حلوان الكاهن، فأقام لهم الفرق بين حال الكهان وحال النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإشارة إلى أن النبي لا يسألهم عوضاً عما يخبرهم به وأن الكاهن يأخذ على ما يخبر به ما يسمونه حُلْواناً ، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله تعالى : { قل ما أسألكم عليه من أجر }[98]، وقوله _عز وجل_:{ قل لا أسألكم عليه أجراً}[99]، ونحو ذلك[100]،فيكون في الآية الرد البالغ على المشركين في زعمهم بأن النبي _صلى الله عليه وسلم_ كاهن، فإنه لو كان كاهناً ما بذل ما لديه من الوحي بغير مقابل، وهناك احتمال آخر لمعنى "ضنين" في هذه الآية، إذا يجوز أن تكون مجازاً مرسلاً في الكِتمان بعلاقة اللزوم لأن الكتمان بخل بالأمر المعلوم للكاتم ، أي ما هو بكاتم

[94] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦١.
[95] انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦١.
[96] سورة الحاقة، ٤١،٤٢.
[97] سورة الطور، ٢٩.
[98] سورة الفرقان، ٥٧.
[99] سورة الأنعام، ٩٠.
[100] انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٢.

Scanned with CamScanner

الغيب ، أي ما يوحى إليه، فقد كان المشركون يريدون من رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أن يبدل هذا القرآن يأتي بقرآن غيره، كما في قوله تعالى: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}١٠١، وقوله تعالى: { ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه}١٠٢، وهذا الأمر يتضمن كتمان ما أوحى الله تعالى به إليه، وافتراء غيره على الله _عز وجل_ والآية هنا تنفي كون النبي _صلى الله عليه وسلم_ كاتماً لما يوحى إليه، فهو عليه الصلاة والسلام يبلغ ما أوحي إليه كما هو من غير زيادة أو نقصان١٠٣، قال ابن عاشور: "والمعنى: وما صاحبكم بكاتم شيئاً من الغيب ، أي ما أخبرَكم به فهو الحق"[١٠٤]، " وحرف الجر "على " على هذا الوجه بمعنى الباء مثل قوله تعالى: { حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق}[١٠٥] ، أي حقيق بي ، أو لتضمين (ضنين) معنى حريص ، والحرص : شدة البخل وما محمد بكاتم شيئاً من الغيب فما أخبركم به فهو عين ما أوحيناه إليه"[١٠٦]، وأما قراءة "ظنين" بالظاء ففيها الرد على المشركين إذ رموا النبي _صلى الله عليه وسلم_ بأنه كذاب فيما يخبر به عن الله _عز وجل_ كما في قوله تعالى: {أم يقولون افترى على الله كذباً}١٠٧، فقراءة "ظنين" ترد عليهم فإن الله تعلى ينفي عنه التهمة، فهو _صلى الله عليه وسلم_ ليس بكذاب فيما يخبر به من الغيب، وإنما هو الأمين الذي يؤدي ما تحمل على وجهه، وحرف الجر "على" في هذا الوجه للاستعلاء المجازي الذي هو بمعنى الظرفية نحو: قوله _عز وجل_: { أو أجِدُ على النار هدى}[١٠٨]،

---

[١٠١] سورة يونس، ١٥.
[١٠٢] سورة الإسراء، ٩٣.
[١٠٣] انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٢.
[١٠٤] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٣.
[١٠٥] سورة الأعراف، ١٠٥.
[١٠٦] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٣.

[١٠٧] سورة الشورى، ٢٤.
[١٠٨] سورة طه، ١٠.

Scanned with CamScanner

وعلى هذا يكون معنى الآية: " أي ما هو بمتهم في أمر الغيب وهو الوحي أن لا يكون كما بلغه ، أي أن ما بَلَّغَهُ هو الغيب لا ريب فيه"[109].

ومما سبق يتبين للباحث أن كل قراءة قد أفادت معنى جديداً غير الذي جاءت به القراءة الأخرى، فقراءة "ضنين" بالضاد فيها رد على زعم المشركين أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ كاهن، وعلى طلبهم منه أن يبدل القرآن ويغيره، وقراءة "ظنين" بالظاء في رد على رميهم النبي _صلى الله عليه وسلم_ بأنه كذاب، ويقوي ما ذهب إليه الباحث أن هذه المعاني موافقة لسياق الآيات حيث إن الله _عز وجل_ نفى عنه الجنون أيضاً مما رماه المشركون به، فقال:{وما صاحبكم بمجنون}[110]، ثم نفى عنه بقوله :{وما هو على الغيب بضنين}[111] تهمتين من افتراء المشركين على رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أيضاً: تهمة الكهانة التي نفتها قراءة "ضنين" بالضاد، وتهمة الكذب التي نفتها قراءة "ظنين" بالظاء.

[109] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص١٦٣.
[110] سورة التكوير، ٢٢.
[111] سورة التكوير، ٢٤.

خاتمة:

إن الفروق المعجمية بين القراءات هي تلك الاختلافات بين القراء في قراءة الألفاظ القرآنية بحيث يكون لكل قراءة جذر معجمي مختلف عن القراءة الأخرى، وقد تنوعت تلك الاختلافات وتفاوتت درجة القرب والبعد في الدلالة بين كل قراءة، فهناك ألفاظ قد اختلفت الأراء فيها، هل هي تنتمي إلى نفس الجذر أو هي مختلفة؟ مثل قراءة "بادئ" بالهمزة و"بادي" بالياء، حيث تبين لنا أن الأصوب أنهما لفظ واحد وإنما خففت الهمزة في "بادي"، وهناك نوع آخر من الاختلاف تنفرد فيه كل قراءة بمعنى معين مع وجود تقارب بين المعنيين، كما في "يقص" ويقض"، فمعنى "يقص" يتبع الحق في قضائه، فالمعنى يرجع إلى القضاء أيضاً، وهناك نوع ثالث من الفروق المعجمية التي تختص كل قراءة منها بمعنى غير معنى القراءة الأخرى لكن من غير أن يكون هناك تضاد أو تعارض بين القراءتين، كما هو الحال في النماذج الأخرى التي تعرضنا لها، فالقراءات القرآنية لا تتعارض ولا تتنافر، وإنما تتكامل وتتضافر ويشد بعضها بعضاً مما يزيد القرآن العظيم جمالاً وبهاءاً وثراءاً.

Lexicon Differences Of Qurat Of Quran

There are no conflictions between the differences between qurat of quran. But it spreads out meaning. There are two types of differences between qurat. Morphological Differences and lexicon differences. If the words are changed but they still belong to the same root the type of difference is morphological. But if the root is differed the type of difference is lexicon. We will discus lexicon differences and their effects on meaning.

Scanned with CamScanner